قلائد الحكمة

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيرا)
(قرآن كريم)

هي أراجيز في الاخلاق جمعت كثيرا من شتات
الحكم المنثورة ، والآداب المأثورة ،

﴿ نظمها ﴾

احمد الزين

وقد كتب في مقدمتها حضرة الاستاذ العالم الاجتماعي الكبير
محمد فريد بك وجدي فصلا في (فلسفة الاخلاق)

(طبع بمطبعة الحياة ودائرة معارف القرن العشرين)
سنة ١٣٣٧ — ١٩١٨

﴿ قلائد الحكمة ﴾

انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
(حديث شريف)

هي أراجيز في الاخلاق جمعت كثيرا من شتات الحكم المنثورة ،
والآداب المأثورة ، وقد كتب في مقدمتها
فصلا في (فلسفة الاخلاق) حضرة الاستاذ العالم الاجتماعى الكبير
محمد فريد بك وجدي

﴿ نظمها ﴾

أحمد الزين

(طبع بمطبعة الحياة ودائرة معارف القرن العشرين)
سنة ١٣٣٧ — ١٩١٨



﴿ صورة الشيخ أحمد الزين ﴾

﴿ كلمة في فلسفة الاخلاق ﴾

دفع بالانسان الى هـذا العالم وهو مستبطن علما ضروريا بأن سلامة وجوده ، وتوفر مقوماته ، واكتمال مواهبه ، وارتقاءه في معارج الكمالات الصورية والمعنوية ، وتوثق الرُبُط التي تربطه بغيره ، متوقفة على قيامه على سنن لايتعدي حـدودها في شؤونه الذاتية ، ومعاملاته الاجتماعية ، فاندفع يتلمس تلك السنن محفوزاً بعوامل فطرته ، فكان هذا الاندفاع منه مولدا لعلم الأخلاق وان لم يتعين اسمه ، ويتحدد موضوعه . فعلم الاخلاق من أقدم العلوم ان لم يكن أقدمها على الاطلاق ، وهولشرف موضوعـه ، وسمو غايتـه ، جُعل له المكان الأرفع من الكتب السماوية ، بل هو الروح المقوم لتلك الكتب ، والمظهر المتألق لنور الوحي فيها

لما نشأ فن الكتابة وشرع الانسان في تدوين آرائه في الوجود وما فيه ، والحياة وما يتعلق بها ، كان الدين أول ما اختلج بصدره ، وفاض منه علي أسلة قلمه ، وأنت خبير بمكان الاخـلاق من الدين . وناهيك ان خاتمـة النبوات قد نصت على انها المقصودة منها فقـال رسول الله صـلي الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكـارم الأخـلاق »

فلما جاءت الفلسفة كان عـلم الأخلاق ركنا من أكبر أركانها ، فاندفعت العقول فى باحاته باحثة عن أصوله من النفس ، متتبعة أطواره في التـاريخ ، مفيضة فيما كان الانسان منه عليه ، وما آل وسيأول به اليـه ، حتى لو جمع ما كتب فيه فى عهد واحد من عهود تاريخه لضاقت عن حصره الخزائن ، فمـا بالك بمـا كتب في سائر عهوده من لدن تدوينه الى اليوم

نشأ علم الاخلاق ساذجا ضيق المجال ككل علم ، ثم اتسعت دائرته باتساع مدي نظر الانسان وتجاربه ، فبعد أن كان علم الاخلاق نصائح مجردة ، أخـذ يتطور فيستدعي النظر في مكانه من نفس الانسان ، وقاعدته التي يقوم عليها من جنانه ،

ثم اتسع مداه فأخذ المتكلم فيه يضطر الى النظر في علاقة النفس بالخالق ، وكيفية صدورها منه ، وهنا العيلم الطامي للفلسفة، بل بحرها الزاخر الذي تخوضه سفن العقول ولا يكاد يسلم منها الا مايقوي على تحمل الأعاصير ، واقتحام العواثير

ماهي الأصول التي ترتكز
عليها الأخلاق

قال الفيلسوف الكبير شو بينوير : « يسهل الأمر بمكارم الأخلاق ولكن يصعب تأسيس قواعدها »

ويدل على صدق قوله ماوقع فيه الفلاسفة قديما وحديثا من الحيرة ، وانفراج مسافات الخلاف بينهم ، وقد أدلي كل منهم بدلوه في الدلاء ، ولم يُتح لواحد منهم أن يأتي ببلال يَنقَع من صدي ، أو يشفي من غُلة . فمنهم من دعم الاخلاق على المصلحة الشخصية ، ومنهم من أقامها على أصل النفع العام ، ومنهم من جعلها فرعا من فروع النشوء النوعي للانسان وهم أشياع مذهب دارون ، ومنهم من جعل أساسها الغيرية (مراعاة مصلحة الغير) وهم أنصار الفلسفة الحسية ، ومنهم من ذهب الى ان قاعدتها مايجده الانسان في نفسه من الأمر الوجداني الداعي اليها وهومذهب (كَنت) وتلاميذه ، ومنهم من بناها علي مافطر عليه الانسان من تطلب الخير لذاته ، ومنهم من شادها على أصل الاختيار في الانسان، ومنهم من وضعها على قاعدة الجبر أي ان الانسان مجبر بتأثير الطبيعة علي القيام على حدود معينة . وقد آب جميع هؤلاء الباحثين من جولاتهم ، معترفين بالعجز عن بلوغ الغاية من محاولاتهم ، حتي قال الفيلسوف الكبير (فوييه) في كتابه (نقد المذاهب الفلسفية) بعد ايراده صعوبة دعم الاخلاق على أصل يرضى به العقل ، ويتفق مع العلم : « الدليل علي تلك الصعوبة الأزمة الراهنة التي وقع فيها علم الاخلاق ، فقد قُلّبت مسألته على كل وجه ، ولم يظهر للآن ان أصلا من تلك الأصول يقوم علي ركن ركين ، أو علي الأقل يكفي وحده فى التعليل » انتهي

أما نحن في هذه العجالة فيجمل بنا أن نبسط مذهب أشياع الفلسفة الدارونية في الأخلاق فانه أصلبها عودا على النقد ، وأشدها مراسا علي الرد ، لما فيه من مظهر

يساير الطبيعية ، ويماشي سنن الخليقة ، ولأنه قد فتن بهذا الوصف كثيرا من المعقول ، وعلينا بعد ذلك أن نبين وجوه نقصه حتي لايكون هذا المذهب عقبة بين الانسان وارتقائه المعنوي كما هو اليوم عندالجامدين عليه فنقول:

مؤدي الفلسفة الداروئية ان الانسان حيوان مفطور علي الاجتماع فهو مدفوع بطبيعته الى الانضمام على غيره ، وبما ان الحياة المشتركة تقضى على كل فرد فيها أن يراعي مصلحة شريكه في المجتمع ، أشعرته الطبيعة بالأخلاق التى يجب أن يتحلى بها حفظا للرابطة الاجتماعية . فحرم على نفسه قتل شريكه في المجتمع وسلبه ووضع العقبات في سبيله وأوجب علي ذاته احترام حقوقه ، واعانته على جلب المنافع ودفع المضار . فكانت هذه أول ما أخذ به نفسه من الآداب مضطراً غير مختار ، ثم صعد درجة في سلم الارتقاء فأشعرته الطبيعة أموراً أخري ، وأوجبت عليه واجبات أرقى ، متوخية في ذلك مقومات وجوده الشخصى والنوعي . وتشدد هو في تعزير من يتعدي حدود هذه الاخلاق فعمل بها الناس أجيالا بعد أجيال ، وأورثوها ذرياتهم فصارت فيهم ملكات راسخة ينظر اليها السطحيون اليوم ويظنونها وحياً من السماوات العلى ، واشراقا من حظيرة القدس ، وما هي الا عادات أشعرتهم بها الطبيعة ، ومكنتها فيهم الوراثة . قالوا ومما يدلك على حيوانيته ، وعلي ان تلك الاخلاق فيه أرضية نشأت بتأثير الضرورة ، انه يحرم فى مجتمعه و يعده رذيلة ، مايحلله فى المجتمعات الأخري ويدعوه فضيلة ، فعد القتل من غير قومه شجاعة ، والسلب غنيمة ، وحيازة الاراضى فتحا ، وانتهاك الاعراض سبيا ، وهلم جرا

راج هذا التعليل للأخلاق الانسانية في العالم الغربي برواج مذهب دارون ، ورسخ في النفوس برسوخ الفلسفة المادية فيه حتي خيل للآخذين به ان معضلة الأصول الخلقية قد حلت حلا نهائيا . ولكن لم يلبث المفكرون بعد هدوء الفورة الأولية لمذهب دارون ، و بعد تقوض صرح المادة في العصر الأخير أن أدركوا نقص هذا التعليل وقصوره عن تفسير اندفاعات الانسان نحو التكمل فيما يناقض مايعده الداروينيون من النواميس الطبيعية الضرورية لترقيته

مثال ذلك : يعد الداروئيون تنازع البقاء ، أكبر نواميس الارتقاء ، ومؤداه ان

الاحياء تتنازع العيش على الارض فيفوز الأقوي منها بأسبابه ، فيزداد قوة على قوته ، ويعجز الضعيف عن الفوز فيزداد ضعفا علي ضعفه ثم يتلاشى فيخلو الجو للأقوي فيورث هذه القوة اخلافه ، ثم يحدث بين الاقوياء الباقين تنازع جديد فيفوز أقواهم ويبقي ، ويخيب أضعفهم ويتلاشي ، ويكون نتيجة هذه الحرب المستمرة استمرار الترقي في الانواع وهو مايسمى بناموس الانتخاب الطبيعى

اذا أخذ هذا القانون علي اطلاقه في النوع البشري وجب أن يكون الضعفاء في المجتمع تحت تأثير الاقوياء يجردونهم من مقومات حياتهم ليتلاشوا لكيلا يبقي الا الأقوياء ، ثم يترك الأقوياء الباقون ليتنازعوا الحياة على ماسبق لكي يفوز بها منهم الممتازون من الافراد ليستمر الارتقاء ، ويتحقق ناموس الانتخاب الطبيعي

أما بين المجتمعات المختلفة فيجب على مقتضى ناموس تنازع البقاء أن يخلّى ما بين الضعيفة والقوية منها لتتلاشى الأولى وتبقي الثانية ، ثم يخلي بين المجتمعات القوية الباقية ليتلاشى أضعفها، وهلم جرا تحقيقا لناموس الارتقاء . ويكون لامعني لما يحلم به الانسان من المساواة العامة في الحقوق ، واحلال دولة الحق محل دولة القوة ، بل ويكون لا معني للعدل ولا لسائر الكمالات التي يهيم بها الانسان ويضحي في سبيلها وجوده

ولكن المشاهد في حياة النوع الانساني ان هنالك تياراً أدبياً آخذ في معاكسة ناموس تنازع البقاء . فان الانسان أظهر في كل دور من أدواره عطفا على الضعيف ومؤاساة للعاجز ، وعد هذه العواطف فيه من خصال الشرف وخلال الكمال . والمشاهد المحسوس ان الأمم تترقي في هذه الشيم الكريمة علي نسبة عروجها في سلم العمران حتى جعلت للهرمي والزمني ملاجي تنفق عليها الملايين من كد الاقوياء ، وارتفعت الاصوات بضرورة المساواة بين القوي والضعيف في جميع الحقوق حتي من جانب المتغلبين، وعدت هذه العاطفة معياراً لدرجات المدنية في الشعوب

هذا في الأمة الواحدة ، أما في السياسة العامة فنري النوع البشري يميل لحفظ حقوق الأمم الضعيفة وانصافها من جاراتها القوية ، ويعد ذلك من الضروريات للكمال البشري ، والحاجات الأدبية المقومة له

فاذا كان مايقوله الداروينيون حقاً لأجبرت الطبيعة النوع البشري على اتباع سنة ناموس تنازع البقاء. فكنت تري الافراد يأكل قويهم ضعيفهم، ويعدون ذلك فضيلة لأن نتيجته الارتقاء وبقاء الأصلح للبقاء، وكنت تري الأمم حمعاء على قدم الحرب يساور أشدها بطشاً ألينها عريكة لتأتي علي مافي يدها من وسائل البقاء، وترسل بها الى تيهور الفناء، وتعد ذلك ضروريا للارتقاء

أنا لا أنكر ان ناموسى تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي توليا المجتمعات الانسانية فى أول أدوارها علي النحو الذي يتوليان به الحيوانات اليوم، ولكنهما أخذا يضعفان علي نسبة ترقي تلك المجتمعات في الشعور ويحل محلهما تيار أدبي ليس من طبيعة هذه المادة وليست هي أهلا لتوليده ولو من طريق الايهام. هذا التيار الأدبي يدفع الانسان للتعالى عن العالم الحيواني ونواميسه تعاليا يفصله عنه كل الفصل. فكانت من مظاهره الأديان على اختلاف أسمائها، والفلسفة بسائر مذاهبها، والشعر في جميع ضروبه، فكلها تدعو الى الترفع عن حضيض هذا الطين الأصم، الى مستوي من الكمال المعنوي يتحقق معه العدل المطلق، والمساواة الصحيحة، وأصول العطف والرحمة، ونكران الذات، ولقد كوّنت هذه الأديان والفلسفات والتصورات عالما أدبيا استنام له الانسان وهام بتحقيقه، ودفع في سبيله صدر كل ناموس حيوانيّ اعترضه، وغلا بعض أفراده في الاندفاع في هذا التيار الادبي المعاكس للطبيعة حتى جعلوا شعارهم الطعن علي الوجود، واظهار نقائصه والنعى على شيوع النواميس الحيوانية فيه

فلو كان الانسان خلق ليقاد بتلك النواميس التى استنتجها دارون من حياة الحيوان لما نشأت فيه روح هذه المناقضة لها، بل لشعر شعوراً طبيعياً بضرورتها وخضع لها صاغراً كالحيوان الأعجم ولم يخلق له هذا الشعور بانحطاطها عن مستوي الكمال الذي يتخيله ويتطلع اليه

فالانسان فى كل دور من أدواره لم يطق الحياة تحت سلطان هذه النواميس الحيوانية فكوّن لنفسه عالما معنويا من دياناته وفلسفاته وخيالاته دان له واستراح اليه، عادّا الوجود الارضى فتنة له، وبلاء عليه، عاملا على الافلات من تأثيره ولو

بمحصوله الأدبي ، رامياً الى الوجود في عالم أرقي منه وراء هذا العالم يسود فيه العدل المطلق ، والكمال الذي ليس وراءه غاية

فلو كان مايقوله دارون وأنصاره حقاً من ان الأخلاق تملى على الانسان من جهة طبيعته الحيوانية مجردة عن كل صبغة روحية لما وجدت هـذا الاجماع من الناس علي ضرورة مما كسة تلك الطبيعة ، بل لو كان مايقوله حقاً من ان الارتقـاء الانساني هو نتيجة التنازع الحيواني ، لأشعرتنا الطبيعة ضرورة ذلك التنازع ، وأجبرتنا على الجري علي سنته ، واضطرتنا للرضاء عنه واحترامه

(الفتنة المـادية)

كل ماقلناه حسن وسائغ في العقول لولا مايعترضه من الفتنة المـادية التي لم تبق ولم تذر

فتنت المباحث المادية العتيقة كثيرا من الناس حتى قطعوا بأن المـادة قديمة ، وانها مصدر كل كائن ومنتهاه ، وغلوا في ذلك حتي زعموا ان الروح مظهر من مظاهر صفاتها ، وانها ليست بشيء غير ثمرة تركباتها ، وجمـدوا على هذا متابعـين لآراء الملاحدة الأقدمين في قولهم (ان المـادة لاتنعدم ولا تتجدد) حتى هل القرن العشرون فأثبت الطبيعيون بتجاربهم بأنها تنعدم وتتجدد ، وانها تنتهي في تحللها الى القوة العـامة المالئة للكون ، فسقطت المـادة من مرتبتها الخياليـة ، التى رفعتها الي مستوي الالاهية

وكان فى الوقت نفسه رجال من أولي العزم فى العـلم يبحثون في نفس الانسان لا على الاسلوب العقيم من زنة مخـه وتقدير خصائصـه بالآلات بل على أسـلوب يكشف السر عن معناه الخفيّ ، ويميط اللثام عن وجوده المعنويّ ، بدرسه في نومه العاديّ ، وسباته المغناطيسيّ ، وفي حالاته وهو متـأثر بالمؤثرات العصبية فاهتـدوا بالأدلة التجريبية الحسية الى ان له روحا متميزة عن هذا الجسد ، وانها تحيـا بعد فنائه فى عالم وراء هذا العالم . وقد أفضنا في هـذه المباحث في مؤلفاتنا ولا نستطيع في هذه العجالة غـير الاشارة اليها . وأحسن مانقدمه دليلا على تقوض دولة المـادة في هذا العصر كلمة كتبها الدكتور الكبير (فيلبون) في مجلة (العلم والحياة) وهي من

كبريات مجلات فرنسا وذلك في شهر سبتمبر سنة ١٩١٧ أي منذ ثلاثة عشر شهرا . قال :

« من الذي لم يشعر بأن دولة المادة في هذا العصر تتقوض في كل مكان ؟ وأنا لا اقيم علي ذلك من الادلة الا النمو الخارق للعادة الذي نمته في هذه السنين الأخيرة العلوم المسماة بالعلوم النفسية . فالبحث عن المجهول والمستور قد صار شغل الناس الشاغل اليوم . فتجد الحوادث الأشد شذوذا عن الطبيعة ، والأدخل في الغرابة قد بُحثت بكلَف شديد ، وفُسّرت ، وتُجودل فيها ، وكثير من العلماء ، وليسوا من أقلهم مقاما ، لا يَفتُرون عن الاهتمام الشديد بهذه المسائل الغامضة المتعلقة بحياة الانسان » انتهي

نقول يسأل الدكتور فيلبون سؤالا انكاريا فيقول « من الذي لم يشعر بأن دولة المادة في هذا العصر تتقوض في كل مكان ؟ » ويخجلني أن أجيبه بأن في الشرق رجالا لم يشعروا بذلك للآن

* * *

هذا غيض من فيض أسوقه بين يدي ما أنا فيه الساعة من النظر في ارجوزة الاخلاق الموسومة (بقلائد الحكمة) للشاعر المطبوع ، طليعة دولة الأدب ، ومحيي سجية العرب ، الشيخ أحمد الزين فقد جمعت في أقل من ألف بيت ما تشتت من شمل الكلم النوابغ ، وتفرق من درر الحكم البوالغ ، فلا يخلو بيت فيها من مثل سائر أو كلمة طيبة أو أصل مقرر ، هذا مع البعد عن الحشو ، والسلامة من التعقيد ، والتنزه عن التكرار ، وهي قدرة لا يمكن أن تعزي الا الى العراقة فى الشاعرية ، والرسوخ في العربية ، ولا غرو فقد نبغ الاستاذ الزين عبقريا بطبيعته ، كبيرا على حداثته، مبرزا وهو في العشرين ، علي فحول المعرقين ، ومن يأتي وهو في العقد الثاني من حياته بمثل هذه الارجوزة فهو جدير بأن يرجي منه في عمره الطويل الموفق ان شاء الله مايعيد لنا عصر أبي تمام أو أبي الطيب ، واذ ذاك تبلغ اللغة العربية غاية ارتقائها ، ويكون الاستاذ الزين حامل لوائها

محمد فريد وجدي

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقدمه

أحمد لله كما	أولى الجميل منعما
ثم الصلاة أبدا	على النبي أحمدا
من حاز حسن الخُلق	وساد كل الخلق
وبعد فالاخلاقُ	مَيْدانها سياق
من طلب الآدابا	تجشم الصّعابا
ومن يرم دَرْكَ العلا	سار لها مستبسلا
في شِكَّة من عزمه	وعُدة من حزمه
ان العلا كَعَابُ (١)	لها القنا حجاب
سهولها أوعار	تحفها الأخطار
سبيلها الاخلاق	لكنها وثاق (٣)
المجد صعب مَغْنَمُه	حُسن السجايا سُلّمه
ان لم ينله البراع	فباعك الطباع
فمن يرم طِلابها	فليشرب ن صابها (٤)
فلن تذوق ماحلا	حتى تذوق الحنظلا
وهكذا المحامدْ	من دونها الشدائد

(١) الكعاب بالفتح التى كعب ثديها واستدار وبالكسر جمع .
(٢) القنا الرماح (٣) الوثاق الأسر قال تعالي (حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق)
(٤) الصبا شجر ثمره مر الطعم وكثيرا مايضرب مثلا لشدة المرارة

ليست أثاثا يُقتني(١) ولا تنال بالمني
ذكر الفتى بما ذَخر والخُلق نعم المدّخر
والذّكر عمر ثاني للمرء وهو فانى
يترك دنياه وما يُبْقي سوي ماقدّما
تصبح منه بَلقعاً(٢) وليس الا ماسعي
فخر الفتي أعماله لاجده وماله(٣)
المال ظل زائل والجدّ لون حائل (٤)
ماذا يفيد المال ان ساءت الافعال
كم من فتى أراه يعجبني مرآه
ذا زينة وريٍّ وباطن مدوي (٥)
به المخازي خافيه ان العيون غاويه
لايزدهيك ماتري فكله الى الثري
حسب الفتى ماقاته وليَتركْ مافاته
لاتبغ فضل النَّشب ٦ وابتغ فضل الأدب
من لم يُسَوِّدْهُ أب أعلاذراه الأدب(٧)
ان العظيم من بَني ولم يقل ذا بيْتُنا
وليس عالى الهمم من كل مجده رمم
فاجعل حُلاك الأدبا ان الفتى ما كسبا
وهذه قلائد وكلها فرائد
قَلّدتْ جيد الدهر بها وجيد مصر

(١) الاثاث متاع البيت قال القراء ولا واحد له . (٢) البلقع القفر .
(٣) الجد بالفتح الحظ والبخت ومنه في الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجدُ جمعه جدود . (٤) حائل متحول . (٥) المدوي اسم مفعول من دَوِيَ الرجل ذا أصيب بداء . (٦) النشب المال . (٧) الذرا جمع ذروة وهي أعلا الجبل

جمعت فيها الأدبا　　أقضي بها ماوجبا
أبياتها أمثال　　عزّت فلا تنال
أخلصت فيها النيه　　لا أبتغي أمنيّه
ولم أرد اكبارا　　بها ولا اشتهارا
وما أردت الجاها　　لكن أردت الله
ان يرض عني ربي　　بها فهذا حسبي

باب في أداب الأصدقاء وفيه فصول الفصل الأول فى فضلهم والبخل بهم والاحسان اليهم وغير ذلك من الآداب

أري القطا أسرابا ١　　فاطلب الأصحابا
ان الصحاب عُدّه　　ذخيرة للشدة
هم زينة الانسان　　وسلوةُ الأحزان
هم حلية المعطّل(٢)　　وهم سلاح الاعزل(٣)
ان نابك الزمان　　فانهم أعوان
فتى بلا اخوان　　عين بلا انسان (٤)
هم نعمة لا تُكفرُ　　ومِنّة لا تُنكَر
فضن بالأخدان　　واحرص على الخلان
وكن نصوح الجيْب　　وكن أمين الغيب
كن للصديق حرزا　　وابذل له ما عزّا
واغنه ان يفتقرْ　　وعِف عنه ان قدِر
اجد ولا تستجدِ　　تكن أثيل المجد
ولا تكن منانا　　تكدر الاحسانا

( ) القطا الحمام ومفرده قطاةٌ　(٢) المعطل غير المحلى .

(٣) الأعزل الذي لاسلاح معه .

(٤) انسان العين المثال الذي يري فى سوادها وجمعه أناسيٌ .

فالمن بالانعام خليقة اللئام
اذا أتاك يشكر فقل له لا أذكر
تسود كل الناس ان قلت اني ناسى
اكرم بها من خله(١) تعز بعد الذلة
دليل حسن الخيم(٢) وآية الكريم
اياك والمنازعه فانها مقاطعه
ان تحسن المعامله فاقلل المجادله
دع الصواب جانبا ان كان يؤذي الصاحبا
فان هذا أدب ان لم يضر الكذب
ولا تقل ذا غلط ان كان فيه سخط
دع رأيه لا تنبس لا سيما في المجلس
اياك والجفاء ان تخلص الآخاء
ولا تطل حبل النوي٣ ان كنت صادق الهوي
واعلم بأن العمرا ليس يطيق الهجرا(٤)
ان الزمان قلب والموت منك أقرب
ما اقصر الأياما واسرع الحماما
فاغتنم الزمانا وقارب الاخوانا

فصل في آداب عامة للأصدقاء

لا تصفين الود الا صافيا فليس كل من تراه وافيا

---

(١) الخلة بالفتح الخصله وجمعه خلال وهي أيضاً الحاجة والفقر وليس مرادا هنا

(٢) الخيم الطبع (٣) النوي البعد وقال بعض الشعراء فى هذا المعني من كلمة له

فاكرم أخاك الدهر مادمتما معاً كفي بالممات فرقة وتنائيا
اذا زرت أرضاً بعد طول اجتنابها فقدت صديقي والبلاد كما هيا

(٤) كتب حكيم الي أخ له في خطاب طويل (يا أخي ان أيام العمر لا تحتمل الهجر)

وضـن بالاخاء قبـل الـخُبر ... فانمـا الاخاء رِقٌ الحـر
(وَحُبَّ من أحببتـه هونا ما ... عساك أن تهجره يوما ما) (١)
وصاحب الناس وكن علي حـذر ... (كم ضل سارغره ضوء القمر) (٢)
ولا تذم غـير الزمان ... فان فيهـا خِبْرَةُ الاخـوان
لا يزدهيك ظاهر مموه ... في طي هـذا باطن مُشوّه
كم من فتي يلقـاك منـه بشره ... وان تغب يسْر اليك شره
والنـاس أن ينقُـدهم المجـرب ... زوائف ليس بهـم من يصحب
لكنما يكفي الفتي من صاحبـه ... ان يأمن الصـديق من عقـاربه
من كنت منه آمنا فى سربك (٣) ... فذاك لو علمت خـير صَحبك
فنحن في قوم عليهـم العفا ... قـد دَرَست فيهم معـالم الوفا
وغاض ماء الود فيهم ونضب (٥) ... فان ذوي أخاؤهم فلا عجب (٦)
فاقبل من الصديق ظاهـرا بدا ... ولا تكافه سوي ما عُوّدا
اياك أن تنشر منـه ما بَطَن ... فربما أصلحـه لك الزمن
وان ممـا يظهر الآدابا ... فى المـرء أن يستبقي الأصحـابا
والسيف ان تجل الصدا عن أثره (٧) ... خـير من استبداله بغـيره
لا تكثر العتـاب فـيما سـاء ... فانه يكدّر الاخـاء
وحاجة الاخاء للعتاب ... كحـاجة الارض الى السحـاب
أولى فأولى أن تُقِـل العـتبا ... ان الحيا ان زاد عاد جَدْبا (٨)

(١) فيه اشارة لى الحديث . (احبب حبيبك هونا ما عسي أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسي أن يكون حبيبك يوما ما) . اه

(٢) فيه اشارة الي البيت المعروف ما أنت أول سار غره القمر الخ (٣) السرب بالكسر النفس يقال فلان آمن في سربه أي في نفسه (٤) غاض الماء غارفي الارض (٥) نضب الماء جفّ . (٦) ذوي النبات ذُوِياً ذَبل . ولا يقال ذوي بكسر الواو . (٧) أثر السيف فرنده . (٨) الحيا بالقصر المطر

ولم أعاتب صاحبا الا وما ... يأتي به أكثر مما قدّما
من لام نفسه على ما كانا ... فذاك من لم يضع الاخوانا
فلا تعاتبه اذا ما أذنبا ... فحسبه هذا له مؤدبا
وضن بالعُتبي على مَنْ يُعجَب ... بنفسه فانه لايعتِبُ
ثلاثة ليس لهم أصحاب ... الكَلُّ والمعْجَب والكذاب (١)
لاتعتذر الا الى من يُعْذِر ... ومن اذا أذنبت ذنباً يَغفر
لا تحتقر بَوادر اللسان (٢) ... فانها مضيِّعة الاخوان
زِنْ ماتقوله فرب قول ... انفذ في مراده من صول (٣)
وقد تُقال عثرة الاقدام ... ولا تقال عثرة الكلام
لا تَستطِل يوما على الاخوان ... بما مُنِحتَه من البيان
فربما جر اللسان ضَيْرا ... وربما كان العَييُّ خيرا (٤)
قد كان موسى حصِراً عَيِيا ... واختاره الله له نجيا
وكان هرون ـ بذاك أولى ... لأنه أفصح منه قولا
لكن فضل الله في مراده ... يؤتيه من يشاء من عباده
اياك والفضول في المقال ... وغض من صوتك فى الجدال
اياك أن تبغي نصْر الباطِل ... برفعك الصوت علي المُجادل
من ينصر الحق فليس يغلب ... ومن أبي فما يفيد الصَّخَب (٥)
فان يكن بالصخب افتخار ... بَزَّ الوري فى فخره الحمار (٦)

---

(١) الكل على الناس الثقيل عليهم .
(٢) البوادر جمع بادره وهو مايبدر من اللسان على غير تعمد .
(٣) الصول والصوله واحد يقال رب قول أنفذ من صول .
(٤) العِيي صاحب العيي والعيي انعقاد اللسان عن المنطق .
(٥) الصخب رفع الصوت .
(٦) بَزَّ غلب .

فصل فيمن يعاتب من الاخوان ومن لا يعاتب وآداب أخري

لاتترك العَتب لمن تصاحبه ... انك تستبقي الذي تعاتبه
اياك ان تعاتب اللئيما ... اني أري العَتب له تكريما
ومن يري الاخوان دون رتبته ... فذاك لا تحمَد غِب صحبته(١)
فلا تعاتبه اذا أساء ... فانه يزيد استعلاء
حذار من معتبة الأسافل ... فانها منقصة للكامل
وانه قد دنّس العتابا ... من جعل العتب لهم جوابا
فانهم أشبه بالكلاب ... لايعرفون قيمة العتاب
وليس للسِفلة من تأديب (٢) ... اذا اساؤك سوي التعذيب
وان غدوت صاحب السلطان ... فلا تكن منه على أمان
ولا تعاتبه علي ما يصنع ... فانه عن العتاب أرفع
اياك أن تدنو ممن يبعد ... عنك وان ترغب فيمن يزهد
فانما الرغبة ذل نفس ... فكيف بالرغبة فى ذي يأس
من طلب الماء من السراب (٣) ... (يرضى من المغنم بالاياب) (٤)
اياك أن تزهد فيمن يرغب ... فيك وان تبعد عمن يقرب
فانه ظلم وأي ظلم ... تركك صاحبا بغير جُرْم
وآية الآداب في الانسان ... أن يجزي الاحسان بالاحسان
لا تأمن الغدر من الاخوان ... فانما الاخوان كالزمانا
وان من عهدته مصاحبا ... سرعان ما ألفيته مناصبا

(١) غبّ الشئ عاقبته.
(٢) السفله جمع سافل وأصله سفِله بكسر الفاء فنقلت حركة الفاء الى السين تخفيفا
(٣) السراب شئ يلوح فى القفار يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شئيا
(٤) فيه اشارة الي المثل المعروف رضى فلان من الغنيمة بالاياب

يخدعني بالبشر والوداد والحقد قد برح بالفؤاد
كم من فتى يظهر لى صفاء في حضرتي ويضمر الشحناء
يؤجّجُ الغيظ به ضِراما لم يرع لي عهداً ولا ذماما
فكم دنوت وهو عني ينفر وكم أفى وهو بعهدي يغدر
وهكذا من أمن الأصحابا مثل الشياه تأمن الذئابا
ما حيلتي أدنو له ويصرِم وأبتني الود له ويهدم
فمثله لا خير فى عتابه كل امريء يجري على آدابه
حاسِنه لا تبغ الذي يبغيه كل اناء ناضح ما فيه
والطبع في اللئيم ليس يغلب والسم في العقرب ليس يعذُب
مما حفظناه من العِظَاةِ وما رويناه عن الثّقاة
أن العصا من هذه العُصَيَّه هل تلد الحيَّة الا حيه
لا تُفش سراً أنت منه تُشفق(١) لا يأمن الاخوان الا أحمق
فان غدا صدرك وهو ضيق فصدر من تُفشي اليه أضيق
وما رأيت حافظا لسره في الناس الا مالكا لأمره
ومن طوي عنك الذي يعنيكا من سره فانه شانيكا(٢)
فذاك شر من مُذيع سرك لأنه مبالغ في ضرك
وان أتيت مجلس الاخوان فلا تجالسهم بلا استئذان
خشية أن يمسك احتقار وأن يكون بينهم أسرار
فان دعيت للدخول فادخل وان بوا فاتركهمو لا تثقل

(١) تشفق تخشي
(٢) شانيكا أصله شانؤك وهو من شنأه اذا أبغضه ومنه مشنوء من يشنؤك
قال الحكيم ابن حزم في هذا المعني مامعناه من كتم السر الذي يعنيك دونك أضر لك ممن أفشى سرك فان الأول قد خانك واستخونك وأما الثاني فقد خانك فقط . اه

فصل في الاستكثار من الاخوان والاقلال منهم وآداب أخري

ترغب الناس في صحبتك وتمييز الأخ الصادق من غيره

ليس من الفضائل أشبه بالرذائل
كرغبة الانسان في كثرة الاخوان
يقول من لا يعلم لا تكثرن منهم
عليك بالاقلال تعش رَخيَّ البال
فانما الاحزان تجلبها الاخوان
فمن يعش وحيدا منهم يعش سعيدا
مقال من لم ينصف ورأي من لم يعرف
فان من يقلُّ في صحبه يَذِل
وآية الأجحاف زهدك في الألاف
فكثرة الاخوان أمْنُ من الزمان
هم ركنك الشديد وسهمك السديد
حِرز من النوائب وجُنَّة المصائب (١)
علامة الآداب زيادة الاصحاب
فانه لا يُصْحَبُ الا الخَلاق الطيبُ
وليس للأراذل في الناس من مُواصل
عليك بالاحسان تحف بالأخدان
فهم قطيٌ ظماء يسقط حيث الماء
وان سئلت الودا منك فاظهر زهدا
فليس كل راغب يحفظ عهد الصاحب
لا تمعِن الاقبالاَ ٢ واتق الابْتِذِالا

(١) الجنه الوقايه (٢) أمعن في الشيء زاد فيه انظر كلمة ابن المقفع في هذا المعني في الأدب الكبير.

فانما المقاربه آخرها مجانبه
وكثرة الوصال داعية الملال
وانما الانسان مُخاتِل خوّان (١)
يدنو إلى من يبعُد ويصطفي من يزهد
وان تكن جليسا فلا تكن رئيسا
اياك والتكليفا لتخدع الاليفا
دليل حسن الألفه القاء عبء الكُلفه ٢
فآية الخداع تكلّف الطباع
فان ذا لونين من لِبس الحالين
ليس له وفاء فانه حِرباء
مُصاحِبي لعله أحسن منه العُزله
وأكثر الاخوان في ذلك الزمان
مُصاحِب لمال يرغب في النوال
أو راهب توعّدا يظهر لى تّوددا
لكنما الصديق والصاحب الرفيق
من كان لي مواسيا اذا رآني تاكيا
ومن رعي اخائي في البؤس والرّخاء
لم يُدنه يساري ويقصه اعساري
وعهده جديد ان رَثّت العهود (٣)
وغاية الاخاء والصدق في الولاء

(١) مخاتل مخادع وهو من مخاتلة الصيد .

(٢) العبء الحمل قال أحد خلفاء العرب في هذا المعني أكلنا الطيب ولبسنا اللين وركبنا الفاره ولم يبق لنا من ملذات الحياة الا أخ صادق ألقي معه مؤونة التحفظ .اه

(٣) رثت بليت

من واصل الاخوانا لا يبتغي شكرانا
غير رضاء منهمُ فالله يجزي عنهم

فصل فى آداب أخري للأصدقاء

(اذا أردت أن يدوم الحب فلا تكن صِهراً لمن تحب) (١)
فان هذا يذهب الوفاقا ويجلب العناد والشقاقا
ولا تبايعه لأجل الكسب فانه مَذهبة للحب
اني رأيت أكثر العِداءِ يكون في البيع وفي الشراء
وليس من مروءة الانسان ان يَكسِب المال من الاخوان
لا تَنقُل الشتم عن السفيه الى الصديق انه يؤذيه
واكتمه عنه ان ذاك شر وجهله بالشر لا يضر
اذا أردت أن تكون كاملا فلا تكن لما يسيء ناقلا
فانه داعية النفور وباعث الاحقاد فى الصدور
اني أري من دينه التفريق ليس له بين الوري صديق
يَفِر منه الأهل والاصحاب فانه نار وهم أحطاب
من نَمَّ لي بما يقول القائل فانه عني كذاك ناقل
فلا يظن انني أُصفيه بالود لكنني أتقيه
فان في صحبته المَلامه وان في اتقائه السلامه
ان زخاريف الوُشاه تخدع فالعاقل العاقل من لا يسمع
وانما السيد والهمام من لا ينال سمعه نَمام
وان يبلغك الوشاة سَبًّا وان يكن صدقا فلا تسَبا
فانه ليس من الآداب أن تجزي السّباب بالسّباب
اياك أن تشاتم الطَّغاما (٢) وان تُسأ منهم فقل سلاما

(١) هذه الكلمة وافقنا فيها الحكيم ابن حزم لما رأينا من صدقها انظرها في كتاب مداواة النفوس له . (٢) الطغام السفِلَة من الناس

واجعله كاللغو من الكلام فانه من خُلق الكرام
(من يتغابي عن سماع شتمه فان هذا سيد في قومه) (١)
من كان مرفوع الذري فى الناس فلا يري في شتمه من باس
فانه لا يُسقط الاقدارا ولا أراه يهدم الفخارا
ومثله مدحك للأرذال ووصفك الناقص بالكمال
فان من يُمدح من غير عُلا كالكلب قد طوقته من الحُلي
كن للصديق حصنه الحصينا وكن على أسراره أمينا
ولا تسله بذل مالا تَبْذلُ ولا تحمّله سوي ما تحمل
فانه داعية النّفار وانه آية الاستئثار
لا تطو عنه ما يضر جهله فان هذا لا يُذمّ نقله
وانصح له ان كنت ذا وفاء فان هذا واجب الاخاء
اياك أن تنصحه تصريحا لكي يراك صادقا نصيحا
عليك بالتعريض فيما تنصَح فانما الحازم لا يُصرح
ولا يكن نصحك الا لينا اني أري التشديد خُرقا بينا (٢)
مما حفظناه من الآثار الماء قد يطفئ حر النار
ان الصديق لومه تأديب ولوم من عاديته تأنيب
اياك أن تنصحه جهارا فانه يزيده اصرارا
لا تنصح الناس بما لا تفعل فانها نصيحة لاتقبل
اني أري نصيحة الافعال أبلغ من نصيحة الاقوال

فصل يجمع كثيرا من الآداب بين الاخوان

أنصت الى حديث من تكلما وان تكن منه بذاك أعلما
لا تشتغل عنه بما سواه ولا تمار فى الذي يراه (٣)

(١) قال أبو تمام فى هذا المعني ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي
(٢) الخُرق سوء الرأي (٣) تماري من المماراة وهو الجَدَل بغير حق

فانه من خلق الأرذال ... وليس في شيء من الكمال
ولا ترده الى الصواب ... وانما في حضرة الأصحاب
فانه ليس من السخاء ... وانه أقطع للاخاء
اياك أن تقول مالا تفعل ... فانها خليقة لا تجمل
وانه ليس من الكمال ... زيادة القول على الافعال
فانما ذو لسن قوال ... أحسن منه أبكم فعال
اياك أن تقاطع الصديقا ... وان تبت حبله الوثيقا (١)
فانه ليس رقيقا يعتق ... متى هفا أو زوجة تطلق
وانه ليس من الآداب ... قطيعة الخلان والأصحاب
وليس من معايب الانسان ... أقبح من قطيعة الاخوان
ان أحسنوا فكن لهم شكورا ... وان (أساءوك) فكن غفورا
واصغ الى معذرة الاخوان ... وقابل السيء بالاحسان
قد قيل في الامثال من لا يعذر ... ذا هفوة فانه لا يعذر
وانه من آية الكريم ... ان يقبل العذر من الحميم (٢)
فانه عضوك ان تألما ... فداوه بالحلم حتى يسلما
اياك أن ترفض عذر مذنب ... فانه ادعي الي التجنب
وان تكن حلو السجايا حرا ... فاحتل له فيما يسيء عذرا
ولا تؤاخذه بذاك الذنب ... ولا تكن فظاً غليظ القلب
ولا أري خيراً من العتاب ... فانه دريئة العقاب (٣)
اياك والحلم على ذي كبر ... فانما الحلم عليه يزري

(١) تبت تقطع
(٢) الحميم الصديق
(٣) الدريئة مايدر الانسان بها الشر أي يمنعه وفيه اشارة الى قول الاوسي
حارثة العتاب قبل العتاب

اني أريَ الحلم على المُختـال ... علامـة الضعف والاستذلال
حذار من صداقة الكذاب ... فليس غيمه سوي ضِباب
اياك أن يخدعك السراب ... من لفظه فانه خلاَّب
يمنحـك الترْحاب والسلامـا ... وقلبـه مستعِر ضِراما
وضُن بالود عـلي المُرائي ... فانه أخوك في الرخاء
فان كبا بك الزمان العاثر (١) ... فانه عـدوك المجُاهـر
لاتغرس الود لدي بخيـل ... فانه أسرع للذبول
فانه من ضـن بالاحسان ... يضن بالود عـلي الاخوان
صديق ماله عدو الناس ... والجـود للزلات خير آسى (٢)
وطالب الود بلا احسان ... كـرافع البيت بلا أركان
هذا ابن أسماء لو أن فيه (٣) ... جوداً لما مكن من يبغيـه
مازال في حـل وفي تَرحال ... يُفرق الناس بجمع المال
يرد بالخيبة كل راجي ... فأسلمته الناس للحجاجٰ
من يبغ بالمـال سوي انفـاقه ... فانـه ينفق من أخـلاقه
أدْن اليـك سالف الاخوان ... أن تغد ذا عز وذا سلطان
وارع لـه الوداد فى الرخـاء ... كما رعي ودك في البـأساء
اياك أن تطغيك النَّعماء ... فانها ليس لهـا بقاء
كل زخاريف الحياة زور ... وكل من صبا لهـا مغرور
سرعان مايذوي بهـا الوطيب ... لا بشرها باق ولا التقطيب
وهكذا غاية كل حي ... تَشـابه الاشيب بالصبى

(١) كبا وقع (٢) آسى من آسا الجرح داواه (٣) ابن أسماء هو عبد الله ابن الزبير وقد رؤي أن فضالة بن شريك أتاه مرة فقال له ان ناقتى قد دَبرت ولا أجد ما أركبه فقال له عبـد الله أرقعها بجـلد واخصفها بهاب وسر بهـا البردين يريد الصبح والعصر فقال فضالة جئتك مستجديا لا مستشيرا فلعن الله ناقه حملتني

فصل في صحبة الكِتَاب

ان عزَّت الاصحاب وقلت الأحباب
واعوز النصير وأبطأ المجير
وكثر اللئام وقلت الكرام
وغاض ماء الود وفاض نَكث العهد
حتى ذوي الاخاء وأَمْحَل الوفاء
فلا تري صفيا ولا أخا وفيا
عونا علي الزمان ومعقل الاخوان
ان تدعه لم يأتل ليس بنكس ذُمّل
فاترك الأصحابا واصطحبَ الكتابا
فهو الجليس الصالح وهو الصديق الناصح
وداده لا يُخلِق وحبه لا يُمزَق
وحبله موصول ان قاطع الوَصول
ليس يرائى صاحبا ولا يرد طالبا
يزيد في نواله مازدت في سؤاله
يُجزل في الاحسان وليس بالمنان
لا يستعيد سائلا ولا تراه ماطلا
مُؤدّب لا يُصغِرك ومُحسن لا يَحقرُك
ان تدعه لمُعْضِل لباك غير مُؤتَل (١)
ذاك الصديق الاطوعَ وهو الرفيق الأخضع
لم أر كالكتاب أحفَظ للآداب
أبْعَد عن مُشاغبه أزهد في معاتبه

اليك فقال عبدالله ان وراكبها . اه

(١) مؤتل لم يأل جهدا .

أرْغَبُ عن جدال　　أكفُّ عن قتال
أجمع للأخبار　　وطيب الآثار
وحُسَنُ الصفات　　وأبلغ العظاة
تري به سخيفا　　وجيّدا طريفا
والغث والثمينا　　وشدة ولينا
آناً تراه ناسكا　　ثم تراه فاتكا
أمْنَعَ للاحرار　　من صحبة الاشرار
أوْعظ للانسان　　من غِيَر الزمان
خير جليس في الدُّني　　وشاغل عن المني
ان المني ضلال　　قصورها اطلال
وماؤها سَراب　　وبرقها خَلاَّب (١)
يقنع بالدَّنيه　　مَن أكثر الأُمْنِيَّه
فانها أحلام　　أصحابها نيام
ليس بها عَلاء　　فانها هباء
سرعان ما تزول　　وحالها يحول
أحبالها رِمام (٢)　　وسُحبها جَهام (٣)
وانما الأماني　　تَعِلّة الجبان
ان فاته مايطلب　　أو ناله مايرهب
أكثَرَ في التمني　　وقوله لواني

باب العلم وفيه فصول

الفصل الأول في فضله

العلم للقلوب　　كالغيث للجُدُوب

(١) الخلاب الذي لا يعقبه مطر　(٢) الرمام الرثاث مفرده رمه بالكسر والضم.
(٣) الجهام الذي ليس فيه مطر.

والروح للأبدان والرّي للانسان
فهو مَنارالحِنْدِس١ وهو غِذاء الأنفس
فانها مَوات وهو لها حياه
والعقل كالنّصال والعلم كالصّقال (٢)
ان تَصدأ العقول فهو لها غاسُول
والعقل غرس طيب له العلوم صَيّب
يَذبُل منه ناضره ان لم يَصُبْه مَاطره
فَرَوّه بالعلم وزَكّه بالفهم
والذهن مثل النار في المَرْخ والعَفار٣
كمينة في زَندها مكنونة في صَلْدها
يَشُبُّها التعليم فهو لها هشيم
والذهن أن يُعوَّد ترك العلوم يخمد
رب صحيح العقل أماته بالجهل
كالحَلي في الكلاب والتبر في التراب
قد كان لو يُعلّم كجذوة تضرَّم
أحق بالأحزان ورحمة الانسان
ذو قدرة لا يطلب وطالب لا يَنجب
لا من خَلت دياره وعُفّيتْ آثاره (٤)
ليس من الانسان أحق بالخسران
كمنفِق الشباب في اللهو والشراب

( ) الحندس الليل الشديد الظلمه (٢) الصقال من صقل السيف اذا جلاه وأزال ماعليه من الطَبَع . (٣) المرخ والعفار شجران تتخذ منهما الزناد ومنه المثل ارخ يدك واسترخ فان الزناد من مَرْخ . اه

(٤) عفيت درست

ومُطلِق العِنان — في طلب الحسان
والركض في الفساد ١ — بثروة الأجداد
والرمي بالتليد (٢) — بين حجور الغيد
يبخل بالقليل — في العمل الجليل
ويبذل المئات — في سبل اللذات
بين سُلاف قَرْقف ٣ — وبين قد أهيف
في الروضة الغناء — على غدير الماء
يلهو بعود ضارب — وذاتِ دَلّ كاعب
فلا يزال لاهيا — حتى تراه خاويا
قد حاطه الاعدام — وحفه السّقام
هناك يُذري مَدْمعاً — على شباب ضُيّعا
لم يغتنم من أمسه — ولم ينل من كأسه
غير دموع نادم — وغير حزن دائم
فقدمضي رَيْعانه (٤) — وأقبلت أحزانه
فلا يقل فعل الزمن — فالصيف ضيّعت اللبن
قد قيل في الأمثال — والكلم الغوالى
الجهل شر قائد — يقود للمفاسد
الجهل داء قاتل — الجهل موت عاجل
قد فاته النعيم — من فاته التعليم
حتي ذَوَي الرطيب — وأمحل الخصيب (٥)

(١) الركض شدة العدو (٢) التليد الموروث من كل شئ . اه
(٣) القرقف الخمر والسلاف ماسال من عصير العنب قبل أن يعصر وتسمى الخمر سلافا اه . (٤) ريعان كل شئ أوله . (٥) أمحل أجدب وهو من المحْل بسكون الحاء أي الجدب اه .

وقد خبا الشباب(١) وطار ذا الغراب
قوس منه الظهر وابيض منه الشعر
لا يَستطيع فهما ولا يُحيط علما
والمرء حين يَهْرم كالضّلع لا يُقَوّم
تعليمة في كِبرته ودرسه فى شيبته
كالرسم فى الهواء والنقش فوق الماء
ففي الشباب تَبذُر وفي المَشيب يُثمِر
فتجْتني عرس الصبا حين تصير أشيبا
فان غرست طيبا جنيت منه أطيبا
وأن شر عيب الجهل عند الشيب
وكيف يرضي الجهلا من صار شيخا كهلا
فمثله لن يُحسدا وان غدا مُسوّدا
ما لذة الجهال بكثرة الاموال
فأيّ مُلك تملك وأي شيء تُدرِك
بعد فوات العلم فالعلم خير غُنم
لا تغترِرْ بالمال فانه كالآل
ليس له دوام فانه حُطام (٢)
(فُضوله أشغال) ٣ وجمعه ضلال
لم أجْنِ غَير التعب من فضتى وذهبي
لا يزدهيك المال فانه أحمال
أفضله أقلّهُ وما يَخف حمله

(١) خبا مأخوذ من خبت النار تخبو اذا خمدت (٢) كل شيء من متاع الدني

فهو حطام. (٣) قال المتنبي في هذا المعني

ذكر الفتي عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

ظواهــر لا تنفــع   بها الضعيف يُخدع

فصل في آداب المتعلم والحث على طلب العلم

لا تَلْهُ بالمـال وبالأولاد   عن طلب العـلم والاسـترشاد
فانه ذَخائر الإمْلاق   وثَرْوَةٌ تَزكو علي الإنفاق (١)
وعُـدَّة من غِـير الليـالى   وخـير ما ثَمَّرْته من مال
ذَخـيرة المَعاش والمَعاد   وكل ماتراه للنَفـاد
تَحرَس ما تجمعُـه من وَفرِ (٢)   والعِلم حارس بغير أجـر
من خِسَّة المـال ونقص فضله   ان قد تراه عنـد غير أهـله
وانمـا فخـر الفتى بالعـلم   لا فخـره بدولة وحكّـم
(ان العـلوم ترفع المملوكا   حتى تراه يَفْضُلُ المـلوكا)(٣)
كم من قد فتى حَطَّ منه نَسَبه   أعـلا ذُراه علمـه وأدبه
والمـرء أن يُعـل ذُراه علمـه   فلا يضر عُـدْمُـه ويُتمه
وليس يُرفع الفتى بأهله   وماله ان يَتَّـضِع بجهـله) (٤)
فاطّلِـب العِلم ولو بالصـين   لا تَلْـهُ عن طِلابه بالدون
واقطـع له مجـاهل القِفار (٥)   وخُض اليه لُجَج البحار
واسلك اليـه السهل والأوعارا   واهجر له الأوطان والديارا
لا تُطِل الشوق الى الأوطان   فانها مَقْـبرَة الأذهان
ان الجهـول نازحُ البـلاد (٦)   لو كان بين الأهـل والأولاد
فَـوَطّد العزم لـه توطيدا   وسهد الجفن له تسهيدا
فسُهـده لا السُّهدُ في البكاء   على فـراق غادة هيفـاء
مما حفظناه من الأمثال   عمـا مضى في سالف الاجيـال

(١) تزكو تنمو (٢) الوفر المال (٣) فيه اشارة الى الحديث (ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يبلغ درجة الملوك . اه (٤) فيه اشارة الى الحديث اطلب العلم ولو بالصين. (٥) والمجاهل الموامي التي تجهل سبلها .اه (٦) نازح بعيد .

العلم لن يُعطى منه قُلّه (١)   الا لمن يعطيه منه كله
فاطلبه فى الحل وفي التّرحال   ولا تُمِت قلبك بالإغفال
فالعلم كالنبات ليس ينبت   نباته في القلب وهو ميت
وانْشَط له واخلع ثياب الكاسل   اياك أن ترضى بعيش الجاهل
فليس غير حسرة تَجَدَّدُ   فيه وغير أسف لاينفد
لا يخدعنك جاهل مسرور   كل امرئ يعيشه مغرور
وطهر القلب من الرذائل   قبل اكتساب العلم والفضائل
مما رويناه من الأقوال   وما غدا في الناس كالأمثال
شر العباد عالم تَهَتّكا   وجاهل بِالدين قد تَنَسَّكا
وَجمّل النفس بخُلق طيّب   فانما الاخلاق خير مكسب
عَتاد من ليس له عَتاد   ودَوْحة أثمارها الوداد
فاحرص عليها انها أعوان   وخير مايعلو به الانسان
وزينة الانسان بالآداب   وليس بالزّي ولا الثّياب
كم من فتى راق العيون مَنظَره   وكذب الظاهر منه مَخبَره
لا تحسد المرء لأجل فهمه   ولا تناظر عالما فى علمه
تريد أن يَفهم من تُجالس   أنك في ذاك المَجال فارس
فانه منك بهذا أخبر   وانه أولى به وأجدر
ومن يُجادل فى كلام أهلَه   فقد أبان للشهود جهله
وانه قد طَلب المَحالا   من جد كيما يُدرك الشَّمالا (٢)
واعمل بما عُلّمته من علم   تَعْلُ به فوق متون النجم
فالعلم ليس بالطّراد المنطق   وليس بِالاكثار في التَّفَيْهق
رب امرئ سباك بالاقوال   وكذب الاقوال بالافعال
فاطّلِب العلوم للأعمال   لا للشهادات وكسب المال

(١) القل القليل (٢) الشمال عكس الجنوب يريد ريح الشمال .

ليست شهادات الفتي الأوراق ... لكنما الشهادة الأخلاق
يفرح بالاوراق كل جاهل ... وليس فيها مَأرَبٌ لفاضل
ومن أراد أن يكون خادما ... لا من أراد أن يكون عالما
رُب امام من حُلاها عاطِلُ ... وكم ينالها غبي جاهل
يَقضي الجهولُ ليله اِسهادا ... ويومه لنفسه إجهادا
يحفظ مافي سِفره لايفهم (١) ... كأنه مما طواه طَلسَم
حتى اذا ما أخلَق الشبابا ... مُحتمِلا في شَرْخه العذابا (٢)
تَسُره شهادة لا تنفعُ ... فهو بها من المعالى يقنع
ما أحقر الطالب والمطلوبا ... وأصغر الكاسب والمكسوب
ذَلِّلْ قِياد النفس للتعلم ... واخفض جناح الذل للمعلم
فلا يُنال العلم بالتعالى ... فالسيل حرب للمكان العالى
واعمل بما يراه لا تُناضله ... وكن له أرضاً يَجُدك وابله
اياك أن تُخجله ان ضلا ... واجعل له عذراً اذا ما زلا
فأي عَضب (٣) صارم لاينبو (٤) ... وأي طرف سابق لايكبو (٥)
لا تؤذه بكثرة السؤال ... ولا تسابقه الى المَقال
وابغ ثَراء العلم حيث كانا ... فالله لم يَخُصصْ به انسانا
لا تزدهيك شهرة الانسان ... ولا تقل آخذ عن فلان
فكم رفيع الذّكر وهو جاهل ... وكم امام فيه وهو خامل

فصل في آداب المعلم

لا تُمِتِ العلم بترك بَذْلِه ... ولا تُعَلِّمه لغير أهله
تُضيعه كغارس النّرجيل (٦) ... ضلالةً منه بأرض النيل

---

(١) السفر بكسر السين الكتاب جمعه أسفار . (٢) شرخ السباب أوله
(٣) العضب السيف القاطع . (٤) ينبو لم يقطع (٥) الطرف بكسر الطاء
المهر السريع (٦) النرجيل هو المعروف عند العامة بجور الهند

وابخل به حتى تصيب الموضعا ضَنًّا بفضل العلم أن يُضَيّعا
ما كل موطن يَطيب البذل كم موطن يَحْسن فيه البخل
وانه ليس من الإنعام تقليدك اللؤلؤ للأنعام
أخْسَرُ من أبصرتُ في الحياة من جاد بالسقيا على المَوات
والبخل بالعلم على من يُثمِر به نبات العِلم ظلم أكبر
من ضَن بالعِلم على الجهال أبخل ممن ضَن بالأموال
فانه من ضن بالإنفاق من ماله يخشى من الإملاق
والعلم لا يَنقصه التكرُّم به ولا يزيده التَّكَتُّم
فاستَبْقِ فضل العلم بالتعليم وذلك غرس الفهم بالتفهيم
وكن بمن علَّمتَهُ رؤوفا لكي يري منك أبا عطوفا
ولا تسله فهم مالا يَفهمُ ولا تَقُد بالعُنف من تُعلّم
الصعب بالشّدة لا يُقادُ فارفُق به يَسلَس لك القياد(١)
وَحلّه بحلية الكمال فانها عَوْن علي المعالى
ونَقّه من دَرَن الصفات واملأ فؤاده من العِظاة
عَوّده خُلق الوُدّ والتعاون فالمرء لا يبلُغ بالتهاون
جمّله قبل العلم بالآداب واللين فى السؤال والجواب
فانه صحيفة بيضاء يكتب فيها المرء مايشاء
قد يُحمد الجهل مع التأديب لاخير في علم بلا تهذيب
لا تحسبن العلم بالقواعد يُعليك ان لم تعلُ بالمَحامد
واعمل بما أنت اليه تُرْشِد وانته عما أنت عنه تُبْعِد
لا تَحْم وِردا أنت منه ناهل(٢) ولا تُحَلّه وأنت عاطِل
وانصحه بالتعريض فى الخطاب فانه أرْوضُ للصّعاب (٣)

(١) يسْلَس يسهل . (٢) ناهل شارب . (٣) أروض من راض الفرس اذا اسلس من قيادها .

لا تُظهرنَّ للصحاب عيبه ... فانه يهتك حُجْبَ الهيبه
فلا أري في كشفه انتصاحا ... لكنني أري به افتضاحا
وليس هذا من سِمات الفضل ... وانه خُرق وسوء فعل
يزيده حرصاً على الاصرار ... وانه داعية النفار
وارفق به ولا تكن شتاما ... ولا تقده للهدي الزاما
فانها من صفة الأمير ... لا من صفات الواعظ المشير
مما حفظناه من الكلام ... وما رويناه عن الأعلام
أحبُّ شئ للفتى ما يُمنع ... منه فلا يزال فيه يُطمع
جمّله بالتسديد في المقال ... ولا تُعَنِّفهُ على سؤال
وروّه محاسن الأشعار ... ومُلح الاخبار والآثار
وذِكر ما مضى من العصور ... ومن خلا في سالف الدهور
فانه أشحذ للطباع ... وانه أبلغ فى الإمتاع
واذكر له طرائف الآداب ... فانها تفكهة الألباب
لا تؤذه بكثرة الدروس ... فانها أخمدُ للنفوس
واقرأ له أحسن مايقال ... ولا تقل في هذه أقوال
فانه ليس من الإنصاف ... اضاعة الأعمار في خِلاف
عمر الفتى تُخلِقهُ الليالى ... فلا تضع عمرك في ضلال
لا تبغ بالعلم اكتساب المال ... فانه نفائس الجُهال
وأزهدُ الناس عُلا وقدرا ... من علّم العلم ويبغى أجرا
علّمه لا تبغ به جزاء ... ولا تَرُم حمداً ولا ثناء
واتق سوء المن بالتعليم ... فانه من خُلق اللئيم
لا تبغ بالتعليم ذُخر الجاه ... فانما الذُّخر رضاء الله
ونَزّه العلم عن السوْآت ... وخدمة الملوك والولاة
أكرِمه عند الناس حتى تُكرما ... لا تتخذه للحُطام سُلما

ما أرخَص العلم لدي الأنام ... في عصرنا كطلب الحطام
(وأن أولى الناس باتباع ... من طهر العلم عن الأطماع) (١)
فارفع به قدرك عما يُصغره ... ولا تُهنه عند من لا يُكبره
والبَس لـه ترفّع الملوك ... تُعْلَ به لا ضعة الصعلوك
وانصح بما تراه غير كاتم ... لا تخش في الحق ملام اللائم
فانما أنت أمين الخالق ... في أرضه فانصح ولا تنافق
سِرْ في الوري بسيرة (الأمين) ... لا تشتر الدنيا ببيع الدين
فان أضيع الوري لخيره ... من باع أخراه بدنيا غيره
لا تَزْدَهيك زينة الحياة ... فكل مجموع الى شتات
وكل نعمة الى زوال ... لا بد للظل من انتقال

فصل في النهي عن ادعاء العلم والتيه به

اياك وادعاء مالم تعلم ... فانه مَجْلبة التندُّم
كفاه انه دليل اللُّوم ... وانه مَضيعَة العلوم
تَجني على العلم بما ادعيْتَ ... شراً وما تعلم ماجنيتَ
فـآفة العلوم أدْعياؤها ... ان الدعاوي ليس يُؤسي داؤها
من يَستَطِل يوماعلي الأكفاء ... فلا يُمن النفس بالصفاء
ولا يثق بعد بِوُد صاحب ... فودّه صار كأمس الذاهب
خل الغرور ان تكن ذا فضل ... فانه مَنقَصَة في العقل
اياك أن تُفاخر الاصحابا ... بالفضل ان أردت أن تُهابا
ولا تقل جمعت علما جمّا ... ان رمت أن تُبعِد عنك الذما
لا تحسبن الفضل يُخفي أمره ... فالفضل مثل الطّيب يَزْكو نَشرُه

(١) قال الجرجاني فى هذا المعني من قصيدة له

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظّما
ولكن أهانوه فهانت نفوسهم ... وغطوه بالاطماع حتي تجهما

لا تُفتَتَنَنَّ انما ذوا العلم　كمثل الواقف عند اليَمّ
تراه يَستكثر منه مايري　وكان ما غُيِّبَ عنه أكثرا
وقسمة العلوم والاخلاق　كقسمة الأعمار والأرزاق
زَهْو الفتي بعلمه غرور　لو انه بنفسه بصير
ماذا علمنا منه حتي نَزهُو　لم يأتنا الا قليل منه
ماتيهنا بالعلم والتدبير　الا كتيه المُعْدِم الفقير
كم عالم أزري به تفاخره　وجاهل أكبره تصاغره
لا يفضُل العالِم أهل عصره　حتى يكون عارفا لقدره
علام يفخَر الفتي بعلمه　وقد يكون سبباً لهمه
كم عالم مُنَغَّص اللذات　يُفَضِّل لموت علي الحَياة
تراه فى همّ وفي أحزان　مما يري من ضعة الانسان
يضيق صدره بما يُلاقي　بين الوري من دنس الاخلاق
ليس يذوق جفنه مناما　لأنه قد عرف الأياما
قل للذي يفني علام تفرح　وفيم تَلهُ بالمني وتمرح
لا يَعْذُب العيش لغير الجاهل　ولا يلَذ كأسه لفاضل
لا تبتغ العلم لغير الله　ولا يكن همك كسب الجاه
لا تبغه لطلب الحُطام　فانه من خُلُق الطّغام
أعرض عن الدنيا وعن حطامها　فلذة الحياة في آلامها
ان كنت ذا علم فكن ذا عفه　ليست رجال العلم أهل صُفّه
لا تتخذه سُلم الافساد　ان كنت ذا عقل وذا سَداد
علم الفتي ان لم يكن مُقوّما　كان اتباع الجهل منه أقوما

باب في آداب المجالس وفيه فصلان

الفصل الأول في آداب عامه

(اياك أن تستخدم الجليسا) (١) ولو تكون السيد الرئيسا
فانه ليس من الآداب مَهانة الخِلان والصحاب
اذا أردت أن تكون ماجدا فكن مع الجليس قدرا واحدا
اياك أن تَعلوَه في الرتبة فانه يُخلق حبل الصحبه
وربما يذكي أُوارَ الحِقد (٢) وربما يغيض ماء الوُدّ
لا تأمنن صفوه أن يَكدرا وقلبه من الهوي أن يَصْفِرا (٣)
ولا أري أجْلَب للنفور مثل استِبَاق القوم للصُّدور
كن كاملا واجلِس مع الاذناب ولا تكن صدْرا بلا آداب
وارغب عن التصدير في المجالس ان كان في الصدر استياء الجالس
فانما الوُدُّ بصدر الصاحب أبقي من التصدير في المراتب
فلا يُغر بالصدور العاقل فانما داء الصدور قاتل
واعرف لكلٍ حقه في المجلس فان هذا من فعال الكَيّس
واجلس بحيث ينبغي لمثلك فان هذا من سِمات فضلك
(اياك أن تجلس في مقام تُهان فيه بعدُ بالقيام) (٤)
واحذر من الاكثار في التّسْآل وغُض من صوتك في المقال

---

(١) روي ان جماعة دخلوا على عمر بن عبد العزيز ليلا فجلسوا عنده فبينا هم جلوس اذ فسد السراج فقام عمر بن عبد العزيز لاصلاحه بنفسه فقيل له هلا أمرتنا يا أمير المؤمنين ونحن أطوع لك من بنانك فقال رضى الله تعالى عنه قمت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وليس من المروءة أن يستخدم الانسان جليسه فاعجب للناس في زماننا هذا . اه (٢) الأوار حر النار . (٣) يصفر يخلو .

(٤) روي أن الأحنف بن قيس دخل علي معاوية فأشار له معاوية بالجلوس بجانبه فقال الأحنف يا أمير المؤمنين سمعت خالد ابن صفوان يومي ابنه ويقول يابني

وكن ظريف القول والمحاضره ... وكن رقيقا حسن المشامره
(ولا تزر من زرت الا غبا ... تزد لديه كلفا وحبا (١)
من أكثر المجيء والذهابا ... الى الصحاب ضيع الصحابا
والناس من داناهمو لا يكرم ... فادن قليلا وتسل عنهم
ولا تكن كلا على الاخوان ... فانه أدعي الي الهجران
(واحذر من الإعجاب والمراء ... واتق ذكر الأكل والنساء)(٢)
وشارك القوم اذا ما طربوا ... من مطرب وأعجب اذا ما عجبوا
ولا تشذ عنهم في مذهب ... لكن اذا لم ترض شيئا فاعزب
وودع القوم على اشتياق ... اليهم ان كنت ذا أخلاق
ولا تودعهم وداع القالى ... فانه من خلق الأرذال
ولا تكن لهم ذلول المنكب ... وحاذر الايعاد بالتجنب
اياك والامعان في المتاع ... فانه من خلق الرعاع
ولا تمد الطرف للفراش ... ولا الى الاثاث والرياش
ولا تقل بكم شريت ذاكا ... فربما استعير ما أدراكا
اياك والغيبة في المحافل ... فانه منقصة للفاضل
فانما أنت اذا فعلت ... تنبيء عن ضعفك لو عقلت
وما رأي العجم ولا الأعراب ... أصغر من نفسك يامغتاب
وانما السيد من يغتاب ... في بعده ولو أتي يهاب

لا تكثر زيارتك للسلطان فيملك ولا تنقطع عنه فينساك واذا أتيت السلطان فاجعل بينك وبينه مجلس رجلين أو ثلاث ربما أتي من هو أليق منك بهذا المجلس فتقام فيكون قيامك هذا زيادة له ونقصاً عليك حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين فقال معاوية لقد جمعت تميم الحكمة . اه (١) فيه اشارة للحديث زر غباً تزدد حبا .

(٢) قال أحد ملوك العرب جنبوا مجالسنا النساء والأكل فانها حديث السوقة . اه

تَحَذَار من مجالس الأوغاد　　فانها حُورٌ على الفؤاد
وفِرّ من مجالس الفساق　　فانها مَفسدة الاخلاق
اياك أن تجالس الكذابا　　ولا مُفاخِرا ولا صَخّابا
ولا تُجالس مُلحِداً في الدين　　فانما الانسان بالقرين
واعلم بأن عُزلة فى دَيْر　　للمرء خير من جليس ضَير
قد أقفرَ الناس من الاخلاق　　فلا تَرُم في الناس ذا ميثاق
خيرَ جليس لهم المغتاب　　والصاحب الأوفي هو الكذاب
أخلاقهم تُعدي فمن لا يهرب　　يُعدي كما يعدي السليم الأجرب
مجالس جمَّعها الفساد　　وعمَّها الشقاق والعِناد
جليسهم رهين هَمّ ناصب　　فكيف بالخليط والمصاحب
فاجعلهم كالنار للضياء　　والدّفء لا لِلْمَس والصلاء
لا تأمنن منهم انسانا　　على نقير كائنا من كانا
اياك والتحسين فى الظنون　　فانها من شُعب الجنون

فصل في الكلام والصمت

القوس بالسهام　　والمَرء بالكلام
فآية الكمال　　اصابة المقال
عقل الفتى مكتَتَم　　يُظهره التكلم
وانما الانسان　　العقل واللسان
سلامة العقول　　في قلة الفضول
(قل حَسَنا لِتسلما　　أواستمع لِتَغنما) ١
وحاذر الاكثارا　　ولا تكن مِهزارا

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث له ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت وفي رواية أو ليصمت . اه

(لا يزدهيك صامت ... ان الجماد ساكت) ١
كم صامت لجهله ... وناطق لفضله
وليس ترك المنطق ... دليل حسن الخُلق
رُب سكوت عِيٍّ ... (ورب نطق غَيٍّ) ٢
وان علا الجدال ... وانتَضَل الرجال ٣
وعَزَّك الخطاب (٤) ... وأعوز الصواب
كان السكوت غُنما ... حتى تصيب المرمي
ذرْهم على جدالهم ... واصغ الى أقوالهم
واحرص علي أن تسمعا ... أكثر من أن تُسْمِعا
حتى تري ما يَجمُل ... منها وما يُستَرذل
فانتَقِ منها ماصفا ... واطِّرح المزيَّفا
واحفظ جميل القول ... فهو لِقاح العقل
حتي تراهم ضلوا ... واخطؤا وزلوا
وقد خَبا الجدال ... وانقطع المقال
فانهَض برأي صائب ... واضرب بسيف قاضب
والبَس لكل ملبَسه ... واجلس لكل مجلِسه
وراع فهم الناس ... تكن من الأكياس
دليل حُسن العقل ... ومن سِمات الفضل
تقديرك الأدواء ... ووصفك الدواء
ولا تكن ممن غدا ... يُضيع علمه سُدي

(١) قال زهير فى هذا المعني
وكائن تري من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
(٢) قيل في المثل رب كلام جلب حماما . (٣) انتضل من النضال وهو الترامي بالسهام يريد سهام القول . (٤) عزك غلبك

يُجالس الفلاحا ويقرأ (المِصباحا)
ويَدْرُس البديعا ويبحث التشريعا
امام من لا يفهمه وعند من لا يعلمه
كواضع الجُلنار في لجج البحار
ليجمُل المذاق ويحلُوَ الخراق
ولن يكون ذاكا ولو سما الافلاكا
لا تُطغك العلوم تحفك الهموم
كن عالما كجاهل ان كنت جد عاقل

فصل في الوفاء

اياك ان تغدر بالميعاد فانه من خُلق الأوغاد
واحرص على الوفاء في المواعد مهما تقاسى فيه من شدائد
واصبر ولا يثنك عنه ثاني فانه من كرم الانسان
ان الوفاء سيد الاخلاق تعلو به لو كنت في أخلاق(١)
فليس بالمال بلوغ مجد مجد الفتى وفاؤه بالوعد
قد قال أهل العلم فيما أُرسِلا (٢) كاد الوَفيُّ أن يكون مُرْسَلا
وانني لم أر كالوفاء أدعي الى الاخلاص في الاخاء
وليس من شئ سوي الإخلاف أدعي الي تقاطع الأُلاف
لا تعتذر في الخُلف بالموانع فانه من سَيّئ الطبائع
من أكثر الاعذار فيما يُفعل فمن قليل عذره لا يُقبل
اياك والاكثار في الأعْذارِ وفعل ما يلجئ لاعتذار
حذار أن تقول لا بعد نعم وابدأ بلا افعل ان خفت الندم
وفّ اذا ما قلت اني أفعل فان لا بعد نعم لا تجمل

(١) الاخلاق جمع خلق وهو الثوب البالى .
(٢) فيما أرسلا يريد ما أرسل من الأمثال

ولا تقل في قول لا نيل العلا ان العلا قول نعم من بعد لا
اياك أن تنسي وعود الأمس فالحر لا يعتاده ما يُنسِي
الحر وعده عليه دَين يذكره حتى يحين الحَين (١)
اياك أن تُوصف بالمِطال فانه من خُلق البخّال
واحرص على الإنجاز في المواعد فآفة الوعود مُطل الواعد
من أكثر المَطل بغير مانع فصدقه في الوعد غير نافع
وان يعاهدك امرؤ حلّاف فلا تطعه انه خَلّاف
فلا أزال أكبرُ الانسانا حتى أراه يُكثر الايمانا
اياك واللّجاج في اليمين فأن هذا رقة في الدين
ولا أري اللجاج فيه الا شِعار من هان ورام الذّلا
ان من الوفاء منع الجار من الأذي لحرمة الجوار
ان كنت موفور الغني والمال فلا تدع جارك للسؤال
وسّع عليه ان يكن فقيرا ولا ترم حمداً ولا شكورا
أغدِق عليه وابذل المعروف وكن له جاراً من الصُروف
آثره بالخير وبالنعماء عليك لو تحسو قَراح الماء (٢)
فان مما يرفع الانسانا في قومه أن يؤثر الجيرانا
ولا تمد لحظك المُريبا لِعرسه تبغ به تشبيبا (٣)

---

(١) يريد حتى يحين أجله . (٢) القراح الماء العذب قال عروة بن الورد في هذا المعني

واني امرؤ عافي انائي شركة وأنت امرؤ عافي انائك واحد
أكثر أهلي من عيال سواهم وأحسوا قراح الماء والماء بارد

(٣) عرس الرجل زوجته قال مسكين الدارمي في هذا المعني أي أدب الجوار .

ناري ونار الجار واحدةٌ واليه قبلى تنزل القدر
أعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخِدْر

اياكِ أن تُرْسِل تلك النظرة ... فربما جرت عليك حسره
وربما عاد عليك سهمها ... وأثقلَ الكاهلَ منك أثمها
ولا تصله تبتغى بوصله ... في البيت ان تؤذيه فى أهله
فان هذا غاية التنزل ... وآية الخسة والتسفل
زره فان الود في التزاور ... لكن نماء البغض في التهاجر
فان نأي عن بيته وغابا ... فاقلل المجيء والذهابا
خشية أن تحفك الظنون ... وان يقال انه خؤون
اياك أن تخونه في غيبته ... يجزيك بالشكران حين أوبته
من لم يصن ماعهد الإله ... فليس مأمونا على سواه

فصل في آداب الأكل

انظر لآداب الفتى في الأكل ... تعرفه ان كنت به ذا جهل
خلقُ الفتى يظهر في الطعام ... كما يبين اللب في الكلام
مهما يكن من خلقٍ يخفيه ... فانه في أكله يبديه
وهذه آدابه في شعري ... فصّلتها كاؤلؤ في نحر
فاعمل بها ان كنت ذا كمال ... تكرمْ في الحلّ وفي الترحال
دونك غسلَ اليد قبل الأكل ... لا يهنأ الأكل بغير غسل
وكثّر الأيدي على الطعام ... فانه من خلق الكرام
ان لم تجد مشاركا في أكلك ... فكثّرِ الأيدي ولو من أهلك
ان يد الله مع الجماعه ... وخير ماتعلو به القناعه
شر الوري من أكله بمعزلٍ ... ذاك وضيع القدر مهما يعتلى
حذار الاتكاء حين تأكل ... واعمل كما كان النبي يعمل
ولا تغيّر هيئة الجلوس ... ولا تكن في الأكل ذا عبوس
اياك والتبديل في المكان ... فانهما من خفة الانسان
اياك والأكل على سبيل ... واحذر من الاكثار فى الفضول

فانما الفضول في الطعام عندي كالفضول في الكلام
وان دعوت الصحب نحو دارك فلا تميل القوم بانتظارك
لا تذكر البطنة عند الأكل فان هذا غاية في البخل
ولا تقل رب طعام يهلك ورغب القوم اذا ما أمسكوا
وكرز القول على الاخوان واحذر من الترغيب بالأيمان
فانه من غرر المكارم أن تذكر العظيم في العظائم
وحاذروا الصمت على الطعام فانها من سيرة الاعجام
لا تلتمس غير الذي يليكا فان هذا خلق يغليكا
اياك أن تأكل مما يبعد عنك فهذا خلق لا يحمد
اياك أن تأكل حتى تشبعا كم لقمة عادت سماما منقعا
اياك والافراط في التقنع فانه ضرب من التصنع
وان تكن بالمكرمات توصف فلا تبسر الا على ما يعرف
لا تحوج الصاحب لافتقاد ان كنت ذا عقل وذا سداد
لا تسبق القوم الى . طعام فانه من جشع اللئام
لا تتبع اللقمه عين فاحص فان هذا من فعال الناقص
وغض عنهم طرفك استحياء ولا تقل هل تشربون ماء
فان من أخبار من قد سلفا ان امرء واكل بعض الخلفا
فابصر الامير بعض الشعر في لقمة الفتى فقال انتظر
اني أري وسط الطعام شعرا فنحه . فان فيه ضررا
قال له الفتى أأنت ناظر الى اني للطعام هاجر
أتنظر الشعرة في طعامي أفضل من طعامكم صيامي
كيف تري اللقمه فيها شعره ليس الكريم من يحد نظره
فقال فاسترها وكن لى غافرا ليس الكريم للمساوي ناشرا
وهكذا المرء اذا ما يكرما تراه يخفي أن يقال لؤما

اياك أن تذكر ما يُستقذَرُ　　فانه من الكريم مُنكَرُ
اياك والامساكَ عن طعام　　ان كان يدعو الصَّحْبَ للقيام
شاركهموا ولا تشذَّ عنهمو　　فان شبعت فاعتذر اليهمو
ولا تقدّر ثمنا للأكل　　ولا تقل يأكل هذا مثلى
اياك والسعال والبصاقا　　واحذر علي الخوان الارتفاقا
واغسل يديك بعد الانتهاء　　وقدم الافضل عند الماء
لا ترْفُضَنْ منهمو تقديما　　ان قدموك بينهم تكريما
قد قيل في أمثال من تقدموا　　لا يرْفُضُ الإكرام الا ألأَمُ
لا تحتقر قدر امريء ذي فضل　　واصْبُبْ على يديه ماء الغسْلِ
فليس في ذلك من صَغار　　لا سيما ان كنت رب الدار

فصل في آداب الضيافة

طهارةُ الشمائل　　تظْهَر بالمُوَاكِل
فادعوا الي الطعام　　أحقَّ بالاكرام
لا تدعون فاسقا　　ولا امرءًا منافقا
ولا كثير الصَّخَب　　ولا حليف الكذب
لا تبتغ المُطَاولَهْ　　به ولا المفاضَلَهْ
وابغ به الاكراما　　وصل به الارحاما
فانما الموائد　　غايتها التَوادُدُ
تُكثرُ فيك الراغبا　　وتستميل الصاحبا
وان تكن ذا نُبل　　وأدب وفضل
فادع فتًي مُلبّيَا　　لا تدعون آبِيا
وان دعيت فأجب　　ولا تقل اني نصب
ولبّ من يدعوكا　　مهما يكن مَفلُوكا ١

(١) المفلوك الفقير.

لا فرق في القياس عنديَ بين الناس
لا فرق بين موسر فيما أري وَمُعسِرِ
فكم غني باخل وكم فقير باذل
وضن بالاكرام بخلا على اللئام
فانما اللئيم يفسده التكريم
يأكل ما تُقَدّم اليه ثم يَنقِمُ
يُكثِرُ في المذمه ولا يراعي حُرمَة
اياك والتصدُّرا اذا الطعام استحضرا
فانما الصدور يعقبها نفور
ودع لرب المنزل ترتيب أهل المحفِلِ
لا تعترض مايفعله فذاك شيء تجهله
لعل ذاك الصدرا به سواك أحري (١)
اياك والتضييق تؤذي به الصديق
وافسح اذا قيل افسح ولا تقل لم أبرح
واغضض من المقال واحذر من الجدال
فانما المودة كلّهُ تفسدها المجادله
وان تكن ذا أدب فلا تكن ذا غضب
تقوم وسط القوم ترمي سهام اللوم
حتي يَكُفَّ الآكلَ ولا يُسيغَ الناهل
وذاك شيء يكثرُ في عصرنا لا ينكر
واحذر من الاصغاءِ لحُجرَةِ النساء
واجلس بعيداً عنها لا تقربن منها

(١) أحري أولى .

فصل في أخلاق عامه وآداب متفرقه

إياك أن يفتنك الشباب ... وأن يغر عينك السراب
فانما الشباب ظل زائل ... وبدره لابد يوما آفل(١)
وزهرة تيبسها الليالى ... وليس وصله سوي خيال
سُرْعان ما يَنقشع الجَهام (٢) ... من سُحْبه ويُسْفِرُ الإِظلامُ(٣)
بادِره ما اسطعت بما يزين ... ولا تُدَنِّسْهُ بما يشين
واغتنم الشباب قبل الهرم ... وقبل أن تصلى أوار الندم
وابخل به الا على ما ينفعك ... وجد به فيما تراه يرفعك
فانما أيامه لآلى ... فابخل بها الا علي المعالى
لا تفنها في لذة المدام ... فلذة الكأس الي آلام
لا يسبك الدَّلُّ من الحسان ... واحذر من التشبيب بالغواني
واطلبِ العلياء فهي أطيب ... وان وصل الغيد برق خُلَّبُ
إياك أن تجلس فى سبيل ... تَرَقُّبَ ذات مَنظَرٍ جميل
ترشقها بأسهم الالحاظ ... وساقط الاقوال والالفاظ
اني أري عجائبا في مصر ... لا سيما فتيان ذاك العصر
تجردوا من حِلْيةِ التدين ... فلم يَعد إيمانهم في مأمن
يقضي الجهول ناضِرَ الشباب ... في لعب النَّرْد مع الأصحاب(٤)
تنذره الساعات وهو سادر (٥) ... وَكم هداه الدهرِ وهو خائر
يقول بادر لذة الحياة ... فكل لذة الى فوات
مما حفظناه من العِظات ... وما رويناه عن الهداة
(أواه لو كان الشباب يبصرُ ... وآه لو كان المشيب يقدر) (٦)

---

(١) من أفل الكوكب اذا غاب . (٢) ينقشع يزول . (٣) يسفر يصبح .
(٤) النرد المعروف عند العامة بالطوله (٥) السادر المتحير .
(٦) هذا مثل لأهل الغرب وقد نظمه سعادة اسماعيل صبري باشا في قوله

لا تزدهيك عِزة المَناصب … فعزة الدنيا كبرق خالب
عما قليل شمسها تُغيَّبُ … ما فخر ذي العقل بمجد يذهب
لا عزة بمنصب وجاه … وانما العز بتقوي الله
فحسبك التقوي عُلاً وعزا … وعُدَّةً لمن أراد بَزّا
لا تفتخر بمنصب ومال … ان كنت ذا عقل وذا كمال
دع ما استطعتَ الفخر بالأصول … فذاك فخر العاجز الكسول
وان تكن بين الوري شريفا … فاضْمُمْ الى تليدهم طَريفا
لا يُرفع المرء بمجد الوالد … فكلنا فرع لأصل واحد
لا فضل لامريٍْ على أخيه … الا بِذكر طيب يبقيه
مما حفظناه من الآثار … وما سمعناه من الاخبار
ان امرءاً أتي الي محمد … يسأله عن دينه ويهتدي
فأدركته رِعدَةٌ وهيبه … لما رأي محمدا وصحبه
فانه كان مَهِيبَ المحضر … إن تلقه كأنه في عسكر
قال له النبي ماذا ترهب … منا وقد جئت الينا ترغب
هوّن عليك ما أنا جبَّار … ولا أنا بين الوري قهار
أمّيَ كانت تأ كل القديدا (١) … أ كرم بهذا خُلُقًا حميدا
وهكذا كل عظيم القدر … دان الى الناس قليل الفخر
ومن تكن بُغيَتُهُ العلياء … فقدره في نفسه هَباء
يسعي الى المجد وليس يَقنَعُ … ومن يذق طعم العُلا لا يشبع
أما قصير الباع في المعالى … فانه يقنع بالآمال

---

(١) القديد اللحم المجفف .

لم يدر طعم العيش شبا … ن ولم يدركه شيب
جهل يضل قوي الفتي … فتطيش والمرمي قريب
وقوي تخور اذا تشبـ … ث بالقوي الشيخ الاريب

مهما تكن رتبته صَغيرة فانها في ظنه كبيرة
حسبك ماقد جاء في الأمثال والكَلِم النفائس الغوال
ان الأسود فخرها زئير وبالنهيق تفخر الحمير
لا تُزْهَ بالطريف والتِّلادِ فكل ماتري الى نفاد
أوَّاهُ لو يعرف كُنهَ قدره في الناس من أسقطه بكبره
لو ينظر الانسان مما صُوِّرَا وما يؤول أمره ما استكبرا
ان كنت ذا عُلاً وذا ارتفاع في الناس فاحفظه بالاتِّضاعِ
وكن شبيه البدر في السماء ونوره يلوح فوق الماء
ان الفتى من لم يقل أنا أنا كالغصن ان أثمر مال وانثني
وان يصب أخوك فضل منصب فلا تزد في الوُدّ والتَّحبُّبِ
فانه ضرب من النفاق وانه من سيئ الاخلاق
وان تكن ذا أدب وكيْس فكن كما كنت له بالأمس
وزده فى التبجيل والتعظيم ولا تزد في ودك القديم
وان تزره وهو في ديوانه فلا تداعبه لدي اخوانه
تريد أن يفهم منك الكل أنك أنت الصاحب المدِلُّ
دع ذلك الخُلق فان فيه غيظا لمن آخيته يؤذيه
لا تحسبن خُلْقَهُ ما تفهم قبل ولا طباعه ما تعلم
(فانما الاخلاق قد تُبدَّلُ والطبع بالعزة قد يُحوَّلُ)(١)

فصل في معاملة الناس والاحسان اليهم والسير معهم

أولى بني حواء بالمدح والثناء

بينا يقال كبا المغفل اذ يقال خبا اللبيب
أواه لو عقل الشباب وآه لو قدر المشيب

(١) قيل فى المثل اذا أصاب أخوك عز منزلة وأصبته على العشر من صداقته الأولى فليس بصاحب سوء اهـ

من قوله معروف والالف المألوف
فَطَيِّبَ المعامله وأحسنَ المجامَلَهْ
وادَّرِع المُصانَعَهْ ليأمن المقاطعَهْ
وَبَذل العطاء لا يبتغي ثَناء
أحسن تكن أميرا وازهد تكن نَظِيرًا
لم أر كالسخاء أدعي الى صَفَاءِ
وليس كالأيادي أجلَبَ للوِدَاد
قد جاد بالمعالي من ضَنَّ بالنَّوَال
وليس للبخيل في الناس من خَليل
فانما هم سِرْب (١) وأينَ أينَ الحبُّ
لا تَبْغِ بالاحسان شكراً من الانسان
وابتغ شكر القادر فالله خير شاكر
علَّ ربيب نعمتك كان دليل نِقْمَتِك
أعرض عن المثالِبِ تسلم من المعاطب
وانظر الى ما فيك فانه يكفيك
ليس من التهذيب حفظك للعُيوب
ومن يري رذائله ولا يري فضائله
فذاك عندي الكامل وهو البصير العاقل
ومن يريني عيبي فذاك خير صَحْبِي
أفديهِ بالحياة لأنه مرآتي
أري بها القبيحا مني والمليحا
شر من المُكاشِح من زانَ لى قبائحى
فربما يضر لأنه يغر

(١) السرب القطيع من البقر والوحش والطير .

ذاك الشفيق الغافل　　وهو الصديق الجاهل
ولا أريد حمْدِي　　بالشيء ليس عندي
أألبسُ المُعارَا　　وأعجب افتخارَا
فمادِحي بالمَيْنِ　　مبالغ فى شَيْنِي
من ذمني بحق　　وعابني بصدق
أنصح عند العاقل　　من مادح بالباطل
سالم جميع الناس　　تسلم من الوسواس
وَطوّل العِنَانا　　وقَصّرِ السِّنَانا
هم حربُ من يقارب　　فكيف من يحارب
اياك والمنافره　　واحسن المعاشرة
فحُسْنُها يزين　　وسُوءها يَشين
تُقَرِّبُ الغريبا　　وتجمعُ القلوبَا
كن ليّن الخِلاَلِ　　فى القول والفِعَالِ
سَهلاً بغير ذُلِ　　تحْمَدُ عند الكُل
من طاب مِثلَ الزَّهْرِ　　يُحمل فوق الصَّدْرِ
لكنما الثقيل　　في قومه مرذول
يُلْقي عن الكواهِلِ　　فالارض أقوي حامل
وكن سليم الجانب　　وانظر الى العواقب
ليس من العلاَء　　وَصفُكَ بالدَّهاء
يَفِرُّ منك الكل　　ويَتَّقيكَ الأهل
من ذا الذي لا يَهرَبُ　　منك وأنت عقرب
يخشاك من يجانبك　　فكيف من يقاربك
فأنت كالصياد　　والناس كالجراد
من ضمه الشراك　　فماله فكاك

تلك سجايا عاليه وذي عظاتٌ غاليه
جمعتها في شعري كلؤلؤ في نحر
ظللت فيها مده تسعين يوما عدَّه
بين نهار جاهد وبين ليل ساهد
مُقرَّح الجفون مُفرَّق الشؤون
والسقم مني باد والهمُّ في وسادي
والفكر في شتات من نكد الحياة
في حين ان الأدبا في أرض مصر نضبا
فلا أري من يُنصفُ ولا أري من يَعرِف
ولا أري تشجيعا لكن أري تشنيعا
بين مقال حاقد أو انتقاد حاسد
تجارة الأخلاق أبعد عن نفاق
وباذل الآداب كباذل التراب
فكدت عنها أنكل لولا الإمام الأفضل
علاّمة الزمان ومهبط العرفان
هذا فريد العصر وغرة في مصر
وذو العلى والمجدِ فيها فريد وجدي
ذاك الذكيّ الأروع شمس هداه تسطع
مكانه لا يجهل بين الرجال أول
أشباهه قليل ورأيه جميل
حبَّب لي الأقداما وثبَّت الأقداما
تلك يد لا تُكفرُ وَمِنَّةٌ لا تُنكَرُ
فهذه حوراءْ ومهرها الدعاء
لا أبتغي جزاءا بها ولا ثناء

والحمد لله كما أولي الجميل منعما
ثم الصلاة أبدا على النبي أحمدا

(الزين)

كلمة

لصاحب السعادة خليفة الشعراء ، وامام الأدباء اسماعيل صبري باشا

اذا كنت يازين زين الأدب فان كتابك زين الكتب
قلائد طوقت جيد البيان بهن وحليت جيد العرب
خلائق تزري بنفح الرياض اذا ضحكت من بكاء السحب
وما المرء الاخلاق كريم وليس بما قد حوي من نشب

كلمة

لصاحب العزة شاعر مصر الكبير حافظ بك ابراهيم

كتابك مابين النهي والفضائل خلاصة عطر جمعت من خمائل
فهني ٔ به فتياننا وكهولنا وهني ٔ به يازين غر الشمائل

كلمة

لصاحب الرفعة الشاعر البليغ محمد افندي الهراوي كاتب أول دار الكتب السلطانية

أكتابا أخرجت للناس أم كنـ ـز خلاق تسديه أكبر نعمة
ان تكن حلية الصدور عقود فحلى النهى قلائد حكمة

كلمة

لحضرة الطبيب النطاسى الفاضل حسين افندي الهراوي وقد كانت مقالا نفيساً فى وراثة الاخلاق فمنعنا ضيق المقام من اثباته فنجتزي بايراد رأيه في هذا الكتاب

«فحسبنا أن ننبه الي ان هذا الكتاب يكفينا كثيرا من مؤونة هذا السعى ، وحسب الأب الذي له بنون وبنات أن يتخذه أستاذا لهم ، بل قل انه أستاذ فى المدرسة ، ومعلم في المنزل ، ومرشد فى المجتمعات ، لما فيه من العظات ، وايضاح السبل الي الدين والمعاملة ، ومن جمع بين هذين فقد جمع الخير كله »